د. قدوري ريم فتيحة

المحاضرة الثانية: الرأي العام: خصائصه، وظائفه، وأنواعه

أولاً: خصائص الرأي العام:

اختلف الرأي العام في المجتمعات الديمقراطية عن الديكتاتورية، ففي المجتمعات الديمقراطية يكون الرأي العام ظاهراً وواضحاً ويعبر عن الإرادة العامة للشعب مستفيداً من جو الحرية وحقوق الأفراد، عكس المجتمعات التسلطية التي يكون الرأي العام فيها كامناً، وتعاني من إهدار الحقوق وكبت الحريات، وعدم سماح السلطة للرأي العام بالظهور خوفاً من معارضة مصالحها، وقد حاول المفكرون وضع خصائص شاملة للرأي العام تتمثل فيما يلي:

- **التقلب:** الرأي العام ظاهرة متغيرة، فالناس لا يثبتون على حال واحد إنما يغيرون آرائهم إزاء الأحداث والقضايا.
- **التبرير:** بمعنى تعليل السلوك بأسباب منطقية يقبلها العقل، وإذا كان التبرير يحدث للفرد فهو يحدث أيضاً لجماعة الرأي العام، إذ يقوم رجال السياسة مثلاً بتعليل الدخول في الحزب مثلاً، وهناك تبريرات ناتجة عن الثقافة والعادات والتقاليد، وهناك تبريرات تلقائية ناتجة عن الزعامة.
- **الإبدال:** قد يعتري الجمهور القلق لسبب من الأسباب فحين لا يستطيع توجيه غضبه نحو السبب الأصلي فإنه يلجأ إلى عملية الإبدال كالقيام بالتظاهر أو الإضراب أو غيرها.
- **التعويض:** عندما يواجه الجمهور أزمة لا يستطيع حلها فإنه يلجأ إلى ممارسة نوع آخر من النشاط التعويضي كشرب الخمر، التحمس، الرياضة، التفاخر بالبطولات التاريخية.
- **الإسقاط:** في هذه الحالة يحمل الجمهور طرف ما مسؤولية الأخطاء وقد يكون هذا الطرف دولة أو منظمة أو شخصا.
- **التقمص:** وهو عكس الإسقاط، وهو تفسير ما نقوم به أو يدور في أنفسنا، بحسب ما يقوم به الغير من تصرفات وسلوكيات، والتقمص يكون في كثير من الأحيان طريقة من طرق التفاهم في المجتمع، وكل شخص يتقمص شخصية المجتمع الذي ينتسب إليه، وخلاصة ذلك أن الفرد عندما يواجه مشكلة في التفاهم مع شخص آخر يتبنى أحد الاتجاهين إما الاعتقاد بأن الشخص الآخر يشبهه تماما وتسمى هذه الحالة إسقاطا، أو يعتقد بأنه مثل الشخص الآخر وتسمى هذه الحالة تقمصاً.
- **التطابق أو الاتفاق:** ويعني ميل الفرد إلى الاتفاق مع رأي المجتمع حتى ولو اختلف ذلك مع قناعاته الحقيقية.

ويتميز الرأي العام أيضاً في بعض الحالات بالديناميكية خاصة إذا ارتبط الأمر بالرأي العام الذي ينشأ عن الرغبة في التغيير فهو يستمد قوته من اعتماده على الحرية والتعقل والتمحيص أكثر من اعتماده على العادات والتقاليد، ويتلاءم هذا النوع من الرأي العام مع المجتمعات الصناعية المتقدمة.

ثانياً: وظائف الرأي العام

يقوم الرأي العام بمجموعة من الوظائف في المجتمع تتمثل هذه الوظائف فيما يلي:

- **دعم الجماهير معنويا، وبث النشاط والحيوية فيها**، فكلما كان تأييد الرأي العام للجماعة قويا كلما خلق في تلك الجماعة روحا معنوية عالية، بخلاف لو كان هذا التأييد ضعيفا، أو منقسما إلى رأيين عامين يناقض أحدهما الآخر أو يضاده، فإن الروح المعنوية تكون ضعيفة.
- **دعم الهيئات والمنشآت الاجتماعية والاقتصادية**، فالمنشآت التي لا يساندها الرأي العام يصعب عليها أن تحصل على ما تريد من الدعم سواء المادي أو المعنوي.
- **مراقبة الحكام**، ويقوم الرأي العام في العصر الحديث بدور مهم في مراقبة سلوكيات الحكام وأفعالهم، وذلك حيال القضايا المجتمعية الداخلية والخارجية من خلال المجالس التشريعية والسياسية ووسائل الإعلام، وإن كان ذلك يبرز بشكل أكبر في المجتمعات المتقدمة.
- **يقوم الرأي العام بوظيفة التعبئة الاجتماعية** من خلال إنجاح خطط الدولة في المجتمع، لذلك تسعى الحكومات إلى توضيح خططها وبرامجها، ووضع هذه الخطط في خدمة المصلحة العامة.
- **تطوير الحياة الاجتماعية**، حيث تظهر قدرة الرأب العام على تغيير الآراء والأوضاع والأنشطة والتشريعات أو تعديل عناصرها وهو ما يحدث غالباً تحت ضغط الرأي العام.
- **وظيفة الرقابة الاجتماعية** وذلك من خلال المحافظة على العادات والتقاليد، وذلك بالمعارضة الظاهرة أو الكامنة لأي تعريفات أو مظاهر لا تتفق مع عادات المجتمع، لذلك لا يقبل الرأي العام أفعال تتنافى مع أوامر الشرع وحرمات الناس وأمن المجتمع وحقوق الآخرين.
- **ومن وظائف الرأي العام في المجال السياسي:** التأثير على القرار السياسي، والتأثير على الانتخابات وإنجاح خطط الدولة، ومساندة الأفكار السياسية، إضافة إلى تحديد ملامح السياسة الخارجية، فعلى الرغم من أن الرأي العام قد يبقى في الظل فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، إلا أنه يمارس بعض الضغوط، فالجهة التي تضع السياسة الخارجية تأخذ في اعتبارها وإلى حدود معينة رغبة الشعب أو على الأقل ما يمكن أن يقبله، وبشكل عام يمكننا القول أن الرأي العام في النظام السياسي الديمقراطي يعتبر سندا للهيئات والمؤسسات الاجتماعية، ذلك لأنه يسهل على هذه الهيئات تأدية رسالتها الحضارية والثقافية.

- **إصـــدار القوانين والتصـــديق عليها**، فالقوانين في المجتمعات الديمقراطية ما هي إلا تعبير عن حاجات الشعب، فعندما تصدر مشكلة معينة عن الرأي العام ويصل إلى حل، يكون بمثابة قرار يمكن أن يصاغ في شكل قانون.

ثالثاً: أنواع الرأي العام

هناك أنواع مختلفة وتقسيمات متنوعة للرأي العام، ويتم تحديد هذه الأنواع طبقاً للمعايير التي تُستخدم في تقسيم هذه الظاهرة، ونذكر منها:

أولاً: التقسيم الكيفي (حسب قوة التأثير):

أ. **الرأي العام القائد:** ويقصد به الفئة المثقفة الواعية التي ينقاد إليها الرأي العام في المجتمع.
ب. **الرأي العام مثقف:** (المتعلم) يتكون من الفئة التي تقرأ، وهي فئة وســـط تتأثر كثيرا الفئة القائدة وتنقلها إلى فئة المنقاد.
ت. **الرأي العام المنقاد:** ويتكون من السواد الأعظم من الشعب.

ثانياً: التقسيم الزمني للرأي العام ويضم:

أ. **رأي عام يومي:** يظهر حينما يعبر عن مشاعر الناس وأحاسيسهم، ويكون سريعاً وواضحاً.
ب. **رأي عام مؤقت:** محدد بعوامل زمنية ومكانية، وتمثله منظمات معينة كالأحزاب والهيئات، وينتهي إذا تغير أحد هذه العوامل.
ت. **رأي عام دائم:** وهو الأكثر رســوخاً يرتكز على أســس تاريخية وثقافية ودينية، يمتاز بأنه الأكثر تأثيراً في الناس، والثبات على مر العصور ويتخذ شكل العادات والتقاليد.

ثالثاً: التقسيم حسب النظم السياسية المسيطرة على الحكم في المجتمع الحديث: وهنا نقصد إمكانية التعبير عن الرأي العام، وينقسم إلى:

أ. رأي عام ظاهر في الدول الديمقراطية.
ب. رأي عام باطن أو كامن في الدول التي تفتقد إلى الديمقراطية.

رابعاً: التقسيم حسب النطاق الجغرافي السياسي: حيث ينقسم إلى:

أ. رأي عام قومي أو وطني: ينبع عن مواطني دولة واحدة، أو وطن واحد ذي حدود جغرافية محددة.
ب. رأي عام إقليمي: ويشمل الرأي السائد بين مواطني دول متجاورة جغرافياً في القضايا المشتركة.

ت. **رأي عام دولي أو عالمي:** ويشمل الرأي السائد بين مواطني العالم أجمع بالنسبة للقضايا التي تمس مصالح شعوب العالم.

خامساً: التقسيم الكمي للرأي العام، ويضم:

أ. **رأي الأغلبية:** يمثل ما يزيد على نصف حجم الجماعة، وقد يتكون رأي الأغلبية أحياناً بالتضليل وحذف بعض الحقائق، أو قد يتكون عن طريق الدعاية التي يقوم بها القادة والزعماء.

ب. **رأي الأقلية:** وهو ما يقابل رأي الأغلبية، ويمثل ما يقل عن نصف حجم الجماعة، وقد يمثل هذا الرأي رأي الصفوة الممتازة في المجتمع، وقد يتحول إلى رأي أغلبية، كما قد يتحول رأي الأغلبية إلى رأي أقلية.

ت. **الرأي الساحق:** وهو الرأي الذي يمثل الأكثرية الساحقة للجماعة حين تناقش قضية من القضايا، ويصل كل أفراد الجماعة أو الأكثرية منهم إلى قرار معين، وهذا الرأي شبيه بالإجماع وقد يكون رأياً جماعياً.

ث. **الرأي الائتلافي:** ويتكون من ائتلاف أراء بعض الأقليات في أي مجتمع تحت ضغط ظرف معين يتطلب هذا الائتلاف بغية الوصول إلى هدف بالذات، فإذا زالت الظروف العارضة التي يتطلبها هذا الائتلاف ذهب الرأي معها وانتهت مهمته.